التّلقي المغاربي للّسانيات العرفانيّة ـ قراءة في طبيعة التّلقي لدى الأزهر الزّناد ـ

Maghreb receiving of cognitive linguistics. reading in theprivacy of the receiving Azhar Azzaned.

الطالب: صام عبدالقادر

إشراف: د/ بن شيحة نصيرة

المركز الجامعي أحمد زبانة غليزان (الجزائر)

البريد الالكتروني: abdelkader.sam@cu-relizane.dz

تاريخ الإرسال: 2020/01/28 تاريخ القبول:2020/02/08 تاريخ النشر: 2020/03/27

ملخص:

شهد الدرس اللساني المعاصر عدة نماذج لسانية كان لها صدى في تطور البحث اللغوي ومن بين هذه النماذج اللسانيات العرفانية، هذا الفرع اللساني الذي ظهر في الغرب نتيجة ظهور العلوم المعرفية وتأثر العلوم فيما بينها في إطار ما يعرف بالدراسات البينية، وتنطلق هذه اللسانيات من مقولة مفادها أن اللغة الطبيعية بنية معلومات موجودة في الدماغ والذهن البشري، وهي بالتالي ظاهرة ذهنية لا يمكن أن نفهمها إلا من خلال علاقتها بباقي الظواهر الذهنية كالإدراك والذكاء والتخيل.

والمتأمل في الدرس اللساني العربي واستمداده لهذا التوجه اللساني المعاصر يجد شحا في الأعمال التي تبرز تلقيهم له إلا بعضا منها، ولعل أكثرها أعمال مترجمة، ونجد قلة من الباحثين العرب خاصة المغاربة الذين جسدوا هذا الأنموذج اللساني منهم "عبد المجيد جحفة"، "توفيق قريرة"، "الأزهر الزناد".

الكلمات المفتاحية: اللسانيات العرفانية، الذهن ، التلقي المغاربي، الأزهر الزناد.

ABSTRACT :

The contemporary linguistic lesson witnessed several linguistic paradigms that resonated in the development of linguistic research. One of these paradigms is cognitive linguistics , this linguistic branch that appeared in the West as a result of the emergence of sciences and the influence of sciences among them within the framework of what

is known as structural studies. These linguistics stems from the saying that the language Natural is a structure of information found in the human mind, and it is therefore a mental phenomenon that can only be understood through its relationship to other mental phenomena such as perception, intelligence and imagination.

And the meditating researcher of the Arab linguistic lesson and its derivation of this contemporary linguistic approach finds scarcity in the works that highlight their receiving of it except some of them, and perhaps the most translated works, and we find a few Arab researchers, especially Moroccans who embodied this linguistic model, including "Abdel Majid Jahfa", "Tawfiq Qiraira" , "Al-Azhar Ezzaned ."

Key words: cognitive linguistics, mindfulness, Maghreb receive, Al-Azhar Ezzaned.

1. توطئة:

تعددت الدراسات الحديثة والمعاصرة لطبيعة اللغة وخصائصها ووظائفها، ولعل البداية كانت مع **"فرديناند دي سوسير"** الذي درس اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها ، وفق منهج آني وصفي، بعده ظهرت اتجاهات لسانية أخرى في الخمسينات من القرن الماضي، تجاوزت البنية لتنتقل إلى اللغة من حيث إنتاجها واكتسابها ضمن نظرية **"النحو التوليدي"** التي قدمها **"نوام تشومسكي"**، إذ أعادت هذه النظرية رؤيتها إلى اللغة بوصفها نظاما ذهنيا تمثيليا ينتج لنا لغة معيارية، بالاعتماد على المنهج التفسيري، وقد جاءت دراسة **"تشومسكي"** مناهضة لكل ما جاء به علم النفس المعرفي والنظرية السلوكية (مثير، استجابة)، وهنا حدثت تحولات جذرية في اللسانيات وثورة معرفية، دخلت عدة علوم في تجديد الدرس اللساني منها

الحاسوبية، الذكاء الاصطناعي، علم الأعصاب...، هذا كله أدى إلى انبثاق لسانيات جديدة عرفت باللسانيات العرفانية.

لهذا سنحاول في ورقتنا البحثية هذه الوقوف على أهم المنطلقات المركزية التي ينهض عليها التصور اللغوي العرفاني وطبيعة الاستمداد المعرفي للأنموذج العرفاني الغربي من قبل المغاربة وفق الإشكالية الآتية:

ـ ما أهم أسس ومبادئ اللسانيات العرفانية؟ وما طبيعة التلقي المغاربي لهذا التوجه اللساني؟ وهل تمكنت اللسانيات العربية – لاسيما المغاربية – من تخطي حدث التلقي الألسني لهذا الأنموذج عبر أدوات الفعل الترجمي؟ وللإجابة عن هذا اتبعنا المنهجية الآتية:

2. اللسانيات العرفانية

1/2. المصطلح:

لعل المطلع على الدراسات اللسانية العرفانية يلحظ تعددا في المصطلح وفوضى مصطلحية فيه خاصة لدى الباحثين العرب، وهذا الاختلاف والتشويش فيه أدى إلى الدعوة لتبني مصطلح بدل الآخر.

وفي هذا الشأن ظهرت في الآونة الأخيرة ترجمات لهذا المصطلح منها: "**معرفة**" أو "**إدراك**"، وهما مصطلحان كما نعلم" متداولان منذ زمن في جل الدراسات الفلسفية والنفسية بشكل خاص"[1].

وقد اقترح مصطلح بديل وهو"**العرفنة**" "من طرف الباحث الأكاديمي التونسي"**الأزهر الزناد**" رئيس وحدة بحث اللسانيات العرفنية واللغة العربية بجامعة منوبة "تونس" ، والذي أجراه في بعض ما كتب ونشر من ذلك: **نظريات لسانية عرفنية**(2010م)، و**النص والخطاب**: مباحث لسانية عرفنية(2011م)"[2].

واستنادا إلى هذا أرجع الباحث اختياره لهذا المصطلح لعدة أسباب وعوامل نجملها فيما يلي:

ـ التشارك في المصطلح فكلمة عرفان مثلا في الاصطلاح القديم والحديث تدل على الشكر ، كما أنها استعملت في مجال التعبد والتصوف (مصطلح فلسفي).

ـ ضرورة وضع مصطلح يناسب النشاطات البشرية الذهنية كالتذكر والتعقل والتخيل...

ـ ضرورة مراعاة انسجام الجدول الاشتقاقي للغة الانجليزية، وذلك بالمحافظة على الحروف الأصلية للجذر (عرف)، ومنه إنشاء جدول اشتقاقي مقبول في عربيتنا قياسا وسماعا منطلقه الفعل (عرفن).

إذن هذه بعض الحجج التي قدمها الباحث الأزهر الزناد والتي كانت وراء تبنّيه لمصطلح (عرفنة)، ومنه تم اختيارنا لمصطلح العرفانية لشيوعه في البحث العربي خاصة لدى المغاربة.

2/2. الإرهاصات الأولى للسانيات العرفانية:

مع بداية العصر الحديث ظهرت عدة أفكار تنادي بضرورة إعادة النظر في الأسس التي تحكم الدراسات في شتى أنواعها واتجاهاتها، ومن ضمنها الدراسات اللسانية، "فالعالم يتطلع إلى تعبير جديد عن معنى الحياة... وأن بنا حاجة إلى فلسفة جديدة يمكن أن تهب المعنى للحياة والواقع"[3]، وحين كانت اللغة المحور الرئيسي في جميع الدراسات أعيد النظر في المناهج التي تحكمها، لذلك تلقت اللسانيات "إسهامات بمواد وحوافز من مناهج جديدة"[4].

وتساوقا مع التطور العلمي السريع ووفرة الدراسات التي تنادي بالاتجاه العقلي باعتباره المنهج الذي ينظر في الذهن البشري وآليات اشتغاله، ورصد معظم العمليات العقلية التي تتحكم في السلوك الإنساني،

تمخض اتجاه لساني جديد يعمل على معالجة اللغة بوصفها نظاما ذهنيا، وذلك في منتصف الخمسينات من القرن الماضي على يد"**نوام تشومسكي**"، هذا الأخير الذي يعد "القائد الأبرز للثورة المعرفية"[5]، والرائد الأول للنظرية التوليدية التحويلية التي رأت أنّ "معرفة اللغة فردية وداخلية في الذهن/ الدماغ البشري، ويترتب على هذا أنه يجب أن توجه الدراسة الحقيقية للغة اهتمامها إلى هذه البنية الذهنية"[6]، إذ أن المناهج السابقة "أخفقت في سبر الجانب الخلاق المتمثل بالكفاية اللغوية"[7]، لذا عمل أصحاب التوجه اللساني التوليدي على "تحديد طبيعة القدرة اللغوية، أي مجموعة المبادئ المجردة التي تقف تحت حقائق القابلية اللغوية، والاستعمال الفعلي للغة في مواقف معينة"[8]، وعلى هذا الأساس تقدمت اللسانيات خطوة إلى الأمام، واستطاعت النظرية التوليدية التحويلية أن تعرج بالدرس اللساني من منهج سلوكي إلى منهج عقلي" همه إزاحة النقاب عن القدرة الكامنة وراء الفعل اللساني، والسعي من أجل تعليله، وتفسيره، بدلا من وصفه وصفا شكليا"[9].

واستنادا إلى هذا حدد "تشومسكي" موقفه من كيفية اكتساب اللغة التي لا تتأتى إلا وفق مبدأين هما: الكفاءة اللغوية والأداء، ومن خلال هذه الرؤية فإن "تشومسكي" يتوجه صوب القدرات العقلية ودورها في تكوين اللغة مع تحكم جانب ذهني فـ"الغرض الأساسي للعقلانية هو أن ظواهر لغوية تكون واقعية بمعنى إدراكي، بأن تكون جزءا من نحو إدراكي يوصل إليه عبر الاستبطان"[10].

موازاة لما ذكر سابقا كانت العلوم المعرفية قد بلغت أوجا من النضج من خلال العودة والاستناد إلى مقولات النظرية التوليدية التحويلية التي جاءت بأفكار جديدة بنيت عليها التصورات المعرفية، وعليه فكلا التوجهين "يستهدف وصف مقدرات الذهن البشري وقدراته، من لغة، وإدراك، وربط، وتخطيط"[11]، فقد أثّر في بعضهما البعض، فمعظم الانتقادات التي وجهت للتوليدية التحويلية كانت إجاباتها في العلوم المعرفية، خصوصا ما تعلق المعنى وكيفية تكونه في الذهن، وأثر ذلك في تكوين الجمل.

وقد أقر رائد اللسانيات العرفانية "جورج لايكوف" بوجود طورين مرت بهما، أطلق عليهما (الجيل الأول) و(الجيل الثاني) للعرفانية، وذلك من خلال حوار أجراه مع "جون بروكمان" الذي قام بطرح سؤال عليه يتعلق بأهم ما يميز العلم المعرفي عن الفلسفة، وقد ورد في إجابته: "هذا سؤال مهم وعميق...لوجود شكلين من العلم المعرفي، أحدهما صيغ بناء على افتراضات الفلسفة الأنجلوأمريكية، والآخر... مستقل عن الافتراضات الفلسفية المخصوصة التي تقيد نتائج البحث.

العلم المعرفي المبكر، وهو ما أسميه: العلم المعرفي من الجيل الأول،(أو العلم المعرفي غير المتجسد) الذي صمم ليناسب الإصدارة للفلسفة الأنجلو. أمريكية...والمقترح كان هكذا: يمكن دراسة الذهن عبر دراسة وظائفه المعرفية، أي من خلال العمليات التي يؤديها الذهن يمكن أن تنمذج على نحو كاف من طريق معالجة رموز صورية عديمة المعنى، كما هو الحال في برنامج الحاسوب، هذا البرنامج الفلسفي يناسب النماذج التي كانت سائدة في ذلك الوقت في عدد من التخصصات هي:

في الفلسفة الصورية: فكرة إمكانية تخصيص الذهن على نحو كاف باستخدام المنطق الرمزي، الذي يستخدم معالجة الرموز الصورية عديمة المعنى.

وفي اللسانيات التوليدية: فكرة إمكانية تخصيص نحو اللغة على نحو كاف من خلال القواعد التي تعالج الرموز عديمة المعنى.

وفي مجال الذكاء الاصطناعي: فكرة أن الذكاء يتركب بصفة عامة في برامج الحاسوب التي تعالج الرموز الصورية عديمة المعنى.

وفي معالجة المعلومات السيكولوجية: فكرة أن الذهن هو جهاز لمعالجة المعلومات، حيث تؤخذ المعلومات المعالجة، كمعالجة الرموز صورية عديمة المعنى، كما هو الحال في برنامج الحاسوب.

كل هذه المجالات قد تطورت من الفلسفة الصورية، هذه المجالات الأربعة تقاربت في عام 1970م إلى شكل العلم المعرفي من الجيل الأول، وكانت رؤية الذهن بوصفه معالجة مجسدة للرموز الصورية عديمة المعنى"[12].

وانطلاقا مما سبق ذكره فإن هناك عدة ظروف ساعدت على ظهور اللسانيات العرفانية منها الفلسفة الحديثة، واتجاهات العلوم المعرفية المتعددة (علم النفس، علم الأعصاب، البيولوجيا، الذكاء الاصطناعي... ومثلت اللسانية التوليدية التحويلية انطلاقة أساسية لهذا التوجه اللساني الحديث، إذ مهدت له الطريق للبروز والانبثاق فبدأت تظهر على الوجود الدراسات والمؤلفات في هذا المجال، فمثلا في عام 1981م صدر كتاب "الاستعارات التي نحيا بها" للمؤلفين: "جورج لايكوف" و"مارك جونسون"، ومثل هذا الكتاب حجر الزاوية في الاتجاه اللساني العرفاني، ويدخل في إطار " ما دعي بتيار الدلالة العرفانية"[13]، وكان "انقلابا جذريا في إعادة التفكير في الاستعارة، وما يستتبعه من أبحاث جادة في مجالات عديدة ذات صلة بموضوعه"[14].

وفي عام 1989م بألمانيا، تم الإعلان في مؤتمر علمي عن تأسيس جمعية اللسانيات العرفانية، بوصفها اتجاها لسانيا منفصلا[15] يمثل بعض آراء الباحثين المنفصلين عن النظرية التوليدية التحويلية منهم: "جورج لايكوف"، "ولونقاكر" و"جاكندوف" وغيرهم.

2/ 3. الأسس والمنطلقات:

كثرت التحديدات النظرية الواصفة للسانيات العرفانية باعتبارها توجها لغويا حديثا، فـ"على الرغم من أن علم اللغة الإدراكي... قد تطور إلى منهج من أهم مناهج علم اللغة، فلا يوجد حتى الآن تحديد موقعي موحد وملزم لهذا الفرع البحثي، ويصعب تحديد الموقع العلمي النظري كثرة غير مفاجئة لبحوث إدراكية على أساس مواقف أساسية جد متباينة"[16]، وعلى الرغم من أن هذا المجال البحثي أصبح مستقلا بذاته إلا أنه فيه بعض النقائص، وبعض النقاط التي المثيرة للجدل سواء نظريا أم من حيث المنهج.

وكما قلنا آنفا في ثنايا البحث أن اللسانيات العرفانية ارتبط ظهورها بتطور العلوم المعرفية التي تتسم بتداخل الاختصاصات فيها، وقد يفهم هذا العلم بأنه "يوجه إلى وصف الأبنية والعمليات اللغوية العقلية وتفسيرها، ويقع في قلب اهتمام علم اللغة الإدراكي بحث التفاعل بين تمثيل المعرفة واستيعابها"[17]، واللغة كما هو معلوم لها وجودان: وجود مادي يتمثل في الأصوات المسموعة، ووجود آخر ذهني، تمثله مجموعة القوانين المتحكمة في الوجود المادي، ومن هنا يمكن لنا أن نحدد مسارات اللسانيات العرفانية إذ أنها تبحث في " العمليات الذهنية الجارية أثناء استيعاب الواقع، وفهمه، وبالتالي إدراكه بالوعي ، وتبحث كذلك أنواع وأشكال تمثيلها العقلي، وتعد اللغة مادة التحليل الإدراكي...تهدف اللسانيات الإدراكية في نهاية المطاف شأنها

شأن العلم الإدركي عموما إلى الحصول على بيانات(معطيات) عن النشاط العقلي، وبهذا تمثل دراسة الوعي مادة مشتركة للعلم الإدراكي، واللسانيات الإدراكية"[18].

إذن فالتوجه اللساني العرفاني لا يتوقف على ترصد الأبنية اللغوية الخارجية، بل يتعداها إلى الذهن البشري وكيفية تعامله مع ما يحيط به من موجودات، فـ"معالجة الوحدات اللغوية وإنشاءها لا تخص نشاط الإنسان اللغوي فحسب، وإنما مختلف الأنشطة التي يقوم بها في كل ميادين المعرفة، حتى في حياته اليومية، ومن بين هذه القدرات يمكننا أن نذكر: قدرة الإنسان على إنشاء تصورات منظمة وتشكيلها"[19].

ويمكننا الآن الوقوف على جملة من الأسس والمنطلقات المركزية التي قامت عليها اللسانيات العرفانية:

ـ رفض مقولة فطرية اللغة، وإعطاء النسق التصوري وظيفة أساسية في تكوين سلوكاتنا المختلفة، منها السلوك اللغوي، وهذا لا يعني نفي الملكة الفطرية البشرية، بل تعديل أجري عليها فـ "من المعقول طبعا اعتبار وجود مكون فطري مهم للقدرات المعرفية البشرية العامة، وأن هناك بعضا من هذه الخاصيات الفطرية تعطي نهوضا للقدرات اللغوية البشرية التي لا يمتلكها أي نوع إحيائي آخر بشكل واضح"[20].

فاللسانيات العرفانية تربط اللغة بمبادئ عرفانية عامة، وترفض الصياغة الصارمة لمبدإ الفطرية الذي نادى به تشومسكي.

ـ رفض مقولة مركزية التركيب وإعطاء الأولوية للمعنى في إنتاج اللغة، إذ أن من أهم ما تبنته اللسانيات التوليدية التحويلية "مركزية التركيب" من خلال التأثر بالمنهج التجريبي والشكلنة الرياضية متوجهة نحو "اعتماد أولوية البنية التركيبية الإعرابية في تصور اللغة، وذلك على حساب العناية بالمعنى، وبالبنية الدلالية"[21].

ومن هنا فإن اللسانيات العرفانية وجهت همها نحو المعنى على عكس التوليديين التحويليين الذين انصب اهتمامهم بالتركيب وكيفية تشكله بعيدا عن الذهن، وركزت على "الطريقة التي يلجأ إليها المتكلم والمخاطب لتشكيل المعنى، أو لإعادة تشكيله، أي أن الأولوية ستصبح للعمليات الذهنية التي تنظم المعنى وتصوغه، وهكذا فإنه لم يعد تصور دراسة اللغة ممكنا إلا في نطاق رؤية قائمة على تشكل المعنى"[22].

إذن فطبيعة الدراسة المعرفية ارتكزت على كيفية تعامل الدماغ مع المدركات الحسية والباطنية، وهذه المدركات ما هي إلا معان يختزنها الذهن في ذاكرته يستعملها في سلوكاته اللغوية.

ـ الموقف من شروط الصدق الدلالي إذ أن المنهج الذي اعتمدته اللسانيات العرفانية "لا يولي أهمية تذكر لقيمتي الصدق والكذب، ولا الواقع المادي، وإنما تهتم أساسا بالطريقة التي تعتمد في إدراك الأحداث، والحالات، وتطورها، وصياغتها صياغة لغوية"[23]، كما أنها لا تنفي تماما العلاقة بين الواقع والأبنية التصورية، إذ ترى أن العلاقة بين الدلالة والواقع من الأمور الثانوية، وللبحث وجب التوجه نحو الذهن الذي يمكن من معرفة كيفية بناء المفاهيم والتعبير عنها بمفاهيم جديدة.

من خلال هذا العرض لأهم منطلقات وأسس اللسانيات العرفانية يمكننا القول بأن هذا التوجه اللساني حاول تقريبا تجاوز ما جاءت به النظريات اللسانية السابقة، منطلقا من بعض أسس تشومسكي في نظريته التوليدية التحويلية، مع تعديل بعضها، وهذا ما جعل هذه لسانيات فريدة من نوعها أساسها العمليات الذهنية المؤثرة في تكوين اللغة مع إعطاء الأولوية للمعنى وكيفية تشكله في الذهن.

3/ طبيعة الاستمداد المعرفي للانموذج العرفاني من قبل المغاربة:

إن المتأمل في الدرس اللساني العربي الحديث يجد أن استمداده وتلقيه للسانيات الغربية لم يكن إلا مع بداية الخمسينات مع جلة من اللسانيين العرب مشارقة ومغاربة، ولعل تلقيهم للأنموذج اللساني العرفاني لم يكن إلا في السنوات الأخيرة من هذا القرن مع مجموعة من الباحثين العرب خاصة المغاربة منهم أمثال الأزهر الزناد، صابر حباشة، البوعمراني، توفيق قريرة وغيرهم، فموضوع اللسانيات العرفانية من الموضوعات المعاصرة المستجدة في الدرس اللساني، وقد شهد مجال البحث فيه منذ الثمانينات تطورا واضحا، وأصبح محور البحث اللساني في الغرب والمغرب العربي.

"ويظل تأخر البلاد العربية في هذا المجال صارخا صريحا، فعسى أن يكون هذا دعوة إلى ذلك إذا توفر سبيل إلى إنشاء دراسات عرفنية عربية عامة كانت أو مخصوصة بمجال منها بعينه من قبيل اللسانيات، ولعل توفر بعض الدراسات في هذا المجال . رغم احتشامها واقتضابها واكتفائها بقضايا الاستعارة . يمثل لبنة أولى يمكن البناء عليها"[24].

ولكن رغم قلة الدراسات العربية في مجال اللسانيات العرفانية إلا أن الجهود فيها قد بذلت ومازالت تبذل خاصة لدى المغاربة منهم وهناك أعمال سنركز عليها ويمكمن أن نقسمه إلى قسمين هما: المترجمة و التيسيرية.

1/3. النماذج المترجمة:

إن المطلع على أعمال الباحثين المغاربة في مجال اللسانيات العرفانية يجد أن أكثرها أعمال مترجمة وذلك لأن تأثرهم بها كان في الآونة الأخيرة فقط وأيضا لصعوبة هذا المجال اللساني وأهم الباحثين الذين ترجموا أهم الأعمال الغربية نجد:

- عبد المجيد جحفة: وهو باحث مغربي ترجم كتاب"الاستعارات التي نحيا بها" لجورج لا يكوف ومارك جونسن، وهو كتاب يدخل"في إطار ما دعي بتيار الدلالة المعرفية، وقد أتاح هذا التيار بلورة أنموذج عام يحاول مقاربة كيفية حصول المعاني وما يحفزها، وذلك انطلاقا من خصوصيات الإدراك البشري وعوامل التجربة التي تفعل فيه"[25].

فكتاب "الاستعارات التي نحيا بها" من الكتب المهمة المترجمة التي يحتاجها الباحثون في مجال اللسانيات العرفانية خاصة المتخصص في علم الدلالة العرفاني والاستعارة بالذات.

- عبد الرزاق بنور: وهو باحث ومترجم تونسي، ترجم كتاب "علم الدلالة والعرفانية" لـ"راي جاكندوف"[26] إلى العربية، بالمركز الوطني للترجمة، تونس 2010م، وهو متخصص في مجال علم الدلالة التصوري الذهني.

هذه بعض الأبحاث والأعمال التي تندرج في إطار اللسانيات العرفانية ترجمها باحثون مغاربة وتلقاها العالم العربي وأصبحت مرجعا للطلاب والباحثين المتخصصين في هذا المجال، دون أن ننسى أعمالا أخرى في مجال اللسانيات الإدراكية وهي عبارة عن مقالات مترجمة في مجلة فصول العدد 100 (الإدراكيات) منها مقال بعنوان "مكانة علم الدلالة في العلوم العرفانية المعاصرة لـ"ميهايو أنطوفيتش"ترجمته "حليمة بوالريش"[27]، تناولت في هذا المقال نظرتها حول منزلة علم الدلالة الحالية في العلم العرفاني المعاصر، ومقال آخر مترجم عن "إيزابيل أوليفيرا" للمترجم حسن دواس بعنوان"الاستعارة الاصطلاحية من وجهة نظرية عرفانية"[28].

ومقال آخر بعنوان"السرديات والعلوم العرفانية -علاقة إشكالية-" لـ"ماري لوريان" ترجمة: "زهير القاسمي"[29]، ومقال "مسائل معرفية في النقد الأدبي" لدوى فوكيمه" ترجمة "محمد بن الرافه البكري"[30].

هذه إذن أهم الأعمال المترجمة في مجال اللسانيات العرفانية وهي أعمال كما رأينا تثبت أن التلقي المغاربي لها لم يكن إلا في الآونة الأخيرة وقد تعددت مجالاتها من نحو عرفاني إلى علم الدلالة العرفاني التصوري، وبخاصة الاستعارة، وعرفانية تتعلق بالسرد والنقد.

2/3. النماذج التيسيرية:

لقد كثرت في الفترة الأخيرة أعمال حولت تيسير ما جاءت به اللسانيات العرفانية، فشملت كتبا شارحة ومقالات بحثية، ومن بين المؤلفين في مجال اللسانيات العرفانية من المغاربة نجد:

1ـ عبد الجبار بن غربية: وهو باحث تونسي له كتاب بعنوان "مدخل إلى النحو العرفاني"(نظرية رونالد لا نقاكر)، "ويتوخى هذا الكتاب أسلوبا ميسرا للتعريف بالنحو العرفاني، تعريفا موجها إلى المتعلمين المبتدئين في اللسانيات، كتبه أستاذ قديم في اللغة العربية كان من أوائل من درس هذا النحو وعرف بصاحبه لانقاكر في الجامعة الفرنسية، في فترة لم يكن فيها هذا النحو إلا في بداياته الأولى"[31].

2ـ محمد الصالح البوعمراني: وهو باحث تونسي له كتاب بعنوان "دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني"(2009م)، تضمن الكتاب مجموعة من المباحث أهمها المقولة والطراز، ومفهوم خطاطة الصورة، والاستعارة...

بالإضافة إلى أعمال أخرى ككتاب "في المعنى مباحث دلالية معرفية لصابر حباشة" تضمن "مجموعة من المقاربات اللسانية التي تهتم بمشكلة تعدد المعنى من زوايا نظر مختلفة، بعضها ذو بعد فكري فلسفي ومعظمها ذو توجه لساني تأويلي"[32]. وكتاب آخر لنفس المؤلف بعنوان "المشترك الدلالي في اللغة العربية مقاربة عرفانية معجمية.

أما المقالات في هذا المجال فهي كثيرة لا يسعنا المجال لذكرها جميعا، وسنذكر أهمها والواردة في مجلة فصول العدد 100:

. دينامية القوة بين بنى الوجود وبنى اللغة لمحمد الصالح البوعمراني.[33]

. اللغة والمعرفة: قضايا البحث البيمعرفي"مقاربة أولية لأنموذج العلاقة بين اللسانيات وعلم المعرفة" لمحمد الوحيدي[34].

. الإبداع في التداولية المعرفية لذهبية حمو الحاج[35].

. تأويل المعنى الاستعاري من منظور سيميائي معرفي لعمر بن دحمان[36].

هذه إذن أهم الأعمال التيسيرية التي حاول فيها الباحثون تيسير مجال اللسانيات العرفانية لكي تكون مرجعا لطلاب العلم تبرز جهود اللسانيين المغاربة وإبداعهم في البحث العلمي.

4/ قراءة في أعمال وجهود الأزهر الزناد:

يعد الدكتور الأزهر الزناد[37] من الباحثين البارزين في مجال اللسانيات، وتمثل جهوده في اللسانيات العرفانية منبعا مهما ورئيسيا استفاد منها الباحثون في هذا المجال، ولعل أعماله في هذا الميدان اللساني

تجسد وتثبت لنا ذلك سواء كانت مترجمة أم تيسيرية، لهذا يحسن بنا الوقوف عند هذه الأعمال وقراءتها بغية معرفة رؤيته وطبيعة تلقيه لهذا المجال اللساني.

الأعمال التيسيرية:

1. كتاب "نظريات لسانية عرفانية": صدر سنة 2010م، بدار محمد علي للنشر، تكون من اثنين وسبعين صفحة ومئتين، استهله المؤلف بتقديم بين فيه سبب إصداره للكتاب إذ قال أن "أبرز الدوافع الكامنة وراء هذا العمل ما لاحظناه من اجتزاء النظريات بأخذ ما يناسب ويصلح واجتثاث دون فهم في الأغلب عند المبتدئين باعتقادهم أن العرفنيات شعار يرفع ولعل ذلك راجع إلى غياب الأطر الفكرية العامة التي تمثل منابت تلك الأفكار..."[38] وقسم الكتاب إلى قسمين كبيرين الأول موسوم بـ : (في العلوم العرفنية)، والثاني بـ : (النظريات اللسانية العرفنية) بتياريها الكبيرين التوليدي والمفهومي التصوري.

قدم المؤلف في القسم الأول سردا تاريخيا لمسار اللسانيات، مبينا العوامل التي دعت إلى ظهور اللسانيات العرفانية منها "السيبرنيتية"، و"الذكاء الاصطناعي"، و"الأنتربولوجيا المعرفية"، ثم خصص القسم الثاني للنظريات المعرفية اللسانية بداية باللسانيات التوليدية التحويلية، تحديدا "البرنامج الأدنوي"، ثم عرض نظريات أخرى منها نظرية اللمات، وهي نظرية تعنى بالكشف عن كيفية إنتاج الكلام وفهمه، ونظرية اللوغونات وهي نظرية خاصة بكيفية الاهتداء للمعنى المعجمي في إنتاج الكلام وتحليله.

وعليه يمكن القول: إن الباحث الأزهر الزناد قد قدم في كتابه عرضا شاملا لأهم الأسس والملامح للنظرية اللسانية العرفانية، وفتح الباب أباب الباحثين لتجيد أقلامهم ويعملوا على تناول العربية وفقا لهذه النظرية، فهذا الكتاب إذن أصبح من المراجع الهامة للباحثين في الدراسات العرفانية.

2. كتاب "النص والخطاب مباحث لسانية عرفنية": صدر هذا الكتاب عام 2014م، ويتكون من سبعين صفحة وثلاثمائة، ضمت أربعة أبواب، وخمسة عشر فصلا، مسبوقة بمقدمة، كما ختم كل فصل بخاتمة، ويعد هذا الكتاب تكملة لكتابه "نسيج النص"، وتضمنت دراسته هذه جانبا نظريا وآخر تطبيقيا وذاك على نصوص مختارة من التراث العربي.

لقد سار "الأزهر الزناد" في هذا الكتاب على هدي ما جاء ذكره من نظريات عرفانية في كتابه السابق، متحدثا عن الأسس الذهنية المؤسسة لأي نص، فحاول من خلال ذلك الربط بين الاتجاه العرفاني ولسانيات النص، كما بسط المؤلف حملة من المفاهيم والمصطلحات المتعلقة بالنص وفق إطار معرفي نفسي، ومعرفي اجتماعي. وقد جاء هذا الكتاب ليبين أثر المقاربات العرفانية في دراسة الخطاب وتحليل النصوص العربية، ويفتح آفاقا جديدة في تعامل القارئ العربي مع النص بأدوات عرفنية.

3 . كتاب اللغة والجسد: صدر هذا الكتاب سنة 2014م، ويتكون من ثلاث وستين صفحة وثلاثمائة، مشتملة على أربعة أبواب، كل باب فيه ثلاثة فصول، وكانت عناوين الأبواب كالآتي:

- الباب الأول: اللغة والجسد.
- الباب الثاني: الجسد في اللغة.
- الباب الثالث: جسد اللغة.
- الباب الرابع: لغة الجسد.

وقد تقدم هذه الأبواب مدخل ضم مجموعة من المسائل النظرية حول الجسد وعلاقته بالعلوم المعرفية، وختم كل فصل بخاتمة تلخص أهم الأفكار الواردة فيه.

تطرق الأزهر الزناد في هذا الكتاب إلى قضايا هامة في الدرس اللساني العرفاني منها اللسانيات البيولوجية التي تعني "الوقوف على مظاهر الصلة بين اللغة والحياة، أو بين اللسانيات وعلوم الحياة"[39].

كما خلص هذا الكتاب إلى جملة من النتائج لعل أهمها أهمية الجسد، ومركزيته في انبناء اللغة بوجوديها الذهني، والمادي.

الأعمال المترجمة:

1. كتاب مدخل في النحو العرفاني: للكاتب رونالد لا نقاكر[40]، ترجمه الزناد من الإنجليزية إلى العربية (2018م)، وهو كتاب مهم في العلوم الجديدة الهامة، يفيد الطلاب والباحثين في البحوث العلمية، خاصة المبتدئين في اللسانيات والمتخصصين فيها وفي الحقول المجاورة لها (علم النفس، الفلسفة، علم الاجتماع...) وقد ركز فيه مؤلفه على ذكر التفاعل القائم بين الملكات الذهنية وملكة النحو، وفي هذا الكتاب وضوح في العرض ومتانة في الطرح بالاعتماد على التدرج في معالجة مسائل اللغة بالتركيز على التصوير الذهني،والتخييل... ولعل ترجمة هذا الكتاب يعد رافدا أساسيا في ترسيخ الجهود التي يبذلها الباحثون المغاربة في الدراسات اللغوية.

2. كتاب "مدخل في نظرية المزج": يتضمن ترجمة لمجموعة من المقالات والمحاضرات قدمها الأستاذ "مارك تورنر" لطلبة اللسانيات بكلية الآداب (جامعة منوبة) سنة 2010، وقد ترجم إلى العربية، وقد جمع في مقدمة ومحاضرتين، المقدمة كانت في أصول نظرية المزج، والمحاضرة الأولى تضمنت مدخلا في نظرية المزج، والثانية بعنوان المزج واللغة[41].

هذه إذن أهم أعمال الباحث "الأزهر الزناد" التي تجسد تلقيه للسانيات العرفانية، وتثبت قدرته على فهم هذا الاتجاه اللساني، إنه بحق مؤلف عربي فذ في هذا المجال، فقد أجاد وجاءت مؤلفاته متسلسلة ومتصلة بالاتجاه المعرفي، كما أنه أجاد في عرض مؤلفاته بلغة سهلة يفهمها القارئ الباحث في مجال اللسانيات.

خاتمة:

من خلال ما ذكرنا آنفا يمكن استخلاص ما يلي:

- إن اللسانيات العرفانية لسانيات غربية ظهرت في السبعينات على يد مجموعة من الباحثين أمثال جورج لايكوف، رونالدلانقاكر... وهي اتجاه لساني يرى أن الذهن مجموعة الوظائف الدماغية المعالجة للمعلومات، وهناك عدة ظروف ساعدت على نشأتها منها الفلسفة والاتجاهات البحثية الحديثة فيها، وأيضا اتجاهات العلوم المعرفية المتعددة، كما مثلت النظرية اللسانية التوليدية التحويلية منطلقا أساسيا لهذا الاتجاه اللساني الحديث.

- من أهم أسس الأنموذج العرفاني أنه لا يتوقف على رصد الأبنية اللغوية الخارجية، بل يتعدى ذلك إلى الذهن والعقل البشري وكيفية تعامله مع ما يحيط به من موجودات، كما أن اللسانيات العرفانية تربط الملكة بمبادئ معرفية عامة، وترفض الصياغة الصارمة لمبدإ الفطرية الذي نادى به تشومسكي في النظرية التوليدية التحويلية، وقد وجهت همها نحو المعنى على عكس التوليديين التحويليين الذين انصب اهتمامهم

بالتركيب وكيفية تشكله بعيدا عن الذهن. وترى أن العلاقة بين الدلالة والواقع أمر ثانوي، والبحث عن المعنى لا يكون في الواقع بل ينبغي التوجه نحو الذهن.

ـ إن التلقي العربي للسانيات العرفانية لم يكن إلا في السنوات الأخيرة من هذا القرن مع مجموعة من الباحثين العرب خاصة المغاربة منهم أمثال الأزهر الزناد، صابر حباشة، البوعمراني، توفيق قريرة وغيرهم.

ـ رغم قلة الأبحاث والدراسات العربية في مجال اللسانيات العرفانية إلا أن الجهود فيها قد بذلت ومازالت تبذل خاصة عند المغاربة منهم وهناك أعمال لابأس بها خاصة المترجمة وأخرى تيسيرية.

ـ يعد الأزهر الزناد من الباحثين البارزين في مجال اللسانيات، وتمثل جهوده في اللسانيات العرفانية منبعا مهما ورئيسيا استفاد منها الباحثون في هذا المجال، ولعل أعماله في هذا الميدان اللساني تجسد وتثبت لنا ذلك سواء كانت مترجمة أم تيسيرية منها: كتاب "نظريات لسانية عرفانية"، كتاب "النص والخطاب مباحث لسانية عرفنية، كتاب اللغة والجسد، كتاب مدخل في النحو العرفاني،كتاب "مدخل في نظرية المزج".

الهوامش والإحالات:

[1]. عمر بن دحمان، المعرفة، الإدراك، العرفنة، بحث في المصطلح، مجلة الخطاب، جامعة تيزي وزو العدد 14، مارس 2013م، ص7.

[2]. المرجع نفسه، ص8.

[3]. أوغدن وريتشاردز، معنى المعنى دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزية، تر: كيان أحمد حازم يحي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، 2015م، ص277.

[4]. المرجع نفسه، ص449.

[5]. نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، تر: حمزة بن قبلان المزيني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005، ص61.

[6]. المرجع نفسه، ص62.

[7]. كريم عبيد علوي، نظرية النحو التوليدي التحويلي في الدراسات اللسانية العربية الحديثة، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ط1، 2012م، ص16.

[8]. جونز ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1995م، ص73.

[9]. أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، منشورات كلية الدراسات الإسلامية العربية، الإمارات العربية المتحدة، دبي، ط2، 2013م، ص240.

[10]. مونيا شفارتس، مدخل إلى علم اللغة الإدراكي، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2015، ص54.

[11]. صابر حباشة، اللغة والمعرفة رؤية جديدة، صفحات للدراسة والنشر، سوريا، الإصدار الأول، 2008م، ص9.

[12]. حيدر فاضل عباس العزاوي، اللسانيات المعرفية في الدراسات العربية الحديثة، أطروحة دكتوراه، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة كربلاء، 2018م، ص18. 19.

[13]. جورج لايكوف، ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، ط2، 2009م، ص5.

[14]. عمر بن دحمان، قراءة في كتاب الاستعارات التي نحيا بها، منشورات مخبر تحليل الخطاب، العدد6، 2010م، ص197.

[15]. زينايدا بوبوفا، ويوسف ستيرين، اللسانيات الإدراكية، تر: تحسين رزاق عزيز، منشورات بيت الحكمة، العراق، ط1، 2012م، ص14.

[16]. مونيا شفارتس، مدخل إلى علم اللغة الإدراكي، مرجع سابق، ص19.

[17]. زينايدا بوبوفا، ويوسف ستيرين، اللسانيات الإدراكية، المرجع السابق، ص7.

[18]. المرجع نفسه، ص7.

[19]. عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، نظرية روزالد لانقاكر، مسكيلياني للنشر، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، تونس، ط1، 2010م، ص39.

[20]. عمر بن دحمان، الاستعارات والخطاب الأدبي مقاربة معرفية معاصرة، أطروحة دكتوراه، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2012م، ص21.

[21]. سندس كرونة، اللسانيات وتطور العلوم العرفانية، حوليات الجامعة التونسية، العدد 47، 2003م، ص283.

[22]. عبد الجبار بن غريبة، المرجع السابق، ص35.

[23]. المرجع نفسه، ص101.

[24]. الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، 2010م، ص30. 31.

[25]. جورج لا يكوف ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، ط2009،2، ص5.

[26]. راي جاكندوف :عالم لغة أمريكي، ولد سنة 1945،تتلمذ على يد تشومسكي، درس علم النفس والفلسفة والموسيقى، عرف باختصاصه في علم الدلالة، وهو رائد علم الدلالة التصوري(انظر كتاب علم الدلالة والعرفانية لراي جاكندوف، ترجمة عبد الرزاق بنور، مقدمة المترجم، ص6.5).

[27]. حليمة بوالريش: أستاذ مساعد جامعة 20أوت 1955 سكيكدة الجزائر(ينظر المقال مكانة علم الدلالة في العلوم العرفانية المعاصرة، مجلة فصول،المجلد(4/25)، العدد 100، صيف 2017، ص 95. 105).

[28]. حسن دواس: أستاذ محاضر،قسم اللغة والأدب العربي،جامعة 20أوت 1955،سكيكدة،الجزائر(ينظر المقال، مجلة فصول، العدد 100، ص123. 132).

[29]. زهير القاسمي: ناقد ومترجم تونسي، ينظر المقال، مجلة فصول، العدد 100،ص186.208).

[30]. محمد بن الرافه البكري، مترجم مغربي، أستاذ السيميائيات واللسانيات، كلية الآداب، جامعة الدار البيضاء، المغرب.(ينظر المقال، مجلة فصول، العدد100، ص209. 238).

[31]. عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، المرجع السابق، ص7.

[32]. صابر الحباشة، في المعنى مباحث دلالية معرفية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2008، ص5.

[33]. محمد الصالح البوعمراني، دينامية القوة بين بنى الوجود وبنى اللغة، مجلة فصول، العدد 100، ص305. 322).

[34]. محمد الوحيدي، أستاذ جامعي مغربي(ينظر مجلة فصول، العدد 100، ص223.235).

[35]. أستاذة التعليم العالي، جامعة تيزي وزو، الجزائر(مجلة فصول، العدد 100، ص337.244).

[36]. أستاذ محاضر، جامعة تيزي وزو(مجلة فصول، العدد 100، ص362. 383

[37]. الأزهر الزناد: أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة، الجمهورية التونسية، مدرس باحث في اللسانيات العرفنية والترجمة، من كتبه: نسيج النص(1993م)، الإشارات النحوية(2005م)، نصوص في الترجمة(2010م)، النص والخطاب(2011م). (ينظر سيرة حياته في كتابه: نظريات لسانية عرفنية، ص272).

[38]. الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، المرجع السابق، ص11.

[39]. الأزهر الزناد، اللغة والجسد، دار نيبور للطباعة والنشر، العراق، ط1، 2014م، ص69.

[40]. رونالد لا نقاكر: لساني أمريكي(قسم اللسانيات، جامعة كاليفورنيا، سان ريغو)، وهو من أبرز الأعلام المؤسسين لتيار اللسانيات العرفانية، ولجمعية اللسانيات العرفانية العالمية التي كان رئيسا لها مدة عامين(1997.1999)، وهو معروف بنظريته الموسومة بالنحو العرفاني.

[41]. نظرية المزج: ويقصد بها قدرة الذهن البشري على التجديد السريع العفوي أو اللاواعي في إحداث المفاهيم والأشياء.